الفصل الثاني

أساليب جمع البيانات الكيفية

Collecting Qualitative Data Techniques

يتناول هذا الفصل النقاط التالية:

- خطوات عملية جمع البيانات الكيفية:
  1. تحديد المشاركين أو المواقع التي سيتم البحث عليها.
  2. الحصول على موافقة أو تصريح لإجراء البحث.
  3. تحديد نوعية المعلومات المراد جمعها.
  4. اختيار طريقة جمع البيانات من مقابلة، ملاحظة....
  5. إعداد طريقة جمع البيانات واستخدامها تحت مظلة أخلاقية.
- المداخل المختلفة لاختبار المبحوثين أو المواقع.
- الحصول على تصريح أو موافقة لإجراء البحث على الأفراد أو المواقع.
- عرض الطرق المختلفة لجمع البيانات الكيفية.
- إجراءات تسجيل البيانات الكيفية.
- تحديد الاعتبارات المختلفة (الإدارية، والأخلاقية) الواجب وضعها في الحسبان.

عملية جمع البيانات الكيفية

ينطلق الباحث في عملية جمع البيانات من أسئلة عامة تنبثق من البحث، وليست سابقة التحديد، وقد تتخذ شكل نصوص، أو صور. على أن تجمع من عدد قليل من الأفراد. وعلى الجانب الآخر نجد أن الباحث الكمي يختار العينة- في الغالب- بشكل عشوائي، ويوجه لهم أسئلة محددة سبق تحديدها. وإذا كانت العشوائية هي طريقة اختيار العينة في البحث الكمي؛ فإنها تتسم بالقصد، والعمدية في البحث الكيفي؛ لأن الباحث يختار الأفراد والمواقع التي يرى إنها ستعينه في فهم الظاهرة التي يدور حولها البحث، مع الحصول على تصريح من الجهة أو الأفراد الذين سيجرى عليهم الدراسة.

وفي كلا المدخلين يمكن جمع البيانات من خلال المقابلات، والملاحظات، والوثائق. لكن في البحث الكيفي لا يقيد الباحث آراء المبحوثين، أو استجاباتهم، ولا يستخدم أداة قياس لباحث آخر (كما في البحث الكمي). وتجمع البيانات عبر أسئلة مفتوحة النهاية **open-ended questions**. ويتم تسجيل المعلومات باستخدام برتوكولات ذاتية التصميم **self-designed protocols** تساعد الباحث على تنظيم المعلومات التي يذكرها المشاركون كرد على الأسئلة.

وعلى الباحث أن يضع في اعتباره التحديات التي ستواجهه عند إجراء بحث كيفي. فقد يجري البحث في منزل الفرد، أو مكان عمله. أما في البحث الكمي فيتم إحضار المبحوثين لموقع إجراء التجربة، أو إرسال استبانات بريدية لهم، وقد يجري التجربة أحد المعلمين مثلاً بعد أن يدربه الباحث على المعالجة؛ وذلك تلافياً لتحيزات الباحث.

من الأفراد؟ وما المواقع التي ستخضع للدراسة؟

لا يهدف الباحث في البحث الكيفي إلى تعميم النتائج على المجتمع الأصلي، كما في البحث الكمي؛ وإنما يهدف للتعمق والاستكشاف لظاهرة معينة. وبناء عليه فإنه كي يستطيع الباحث فهم الظاهرة، والتعمق فيها عليه أن يختار عينة بحثه قصدياً – تلك العينة التي تعينه على تحقيق ذلك. وعلى الجانب الآخر يختار الباحث في البحث الكمي العينة الممثلة لمجتمعها الأصلي عشوائياً بغرض تعميم النتائج التي سيحصل عليها لاحقاً.

ويتضح من شكل (2–1) الاختلاف بين البحث الكمي والكيفي فيما يخص اختيار العينة:

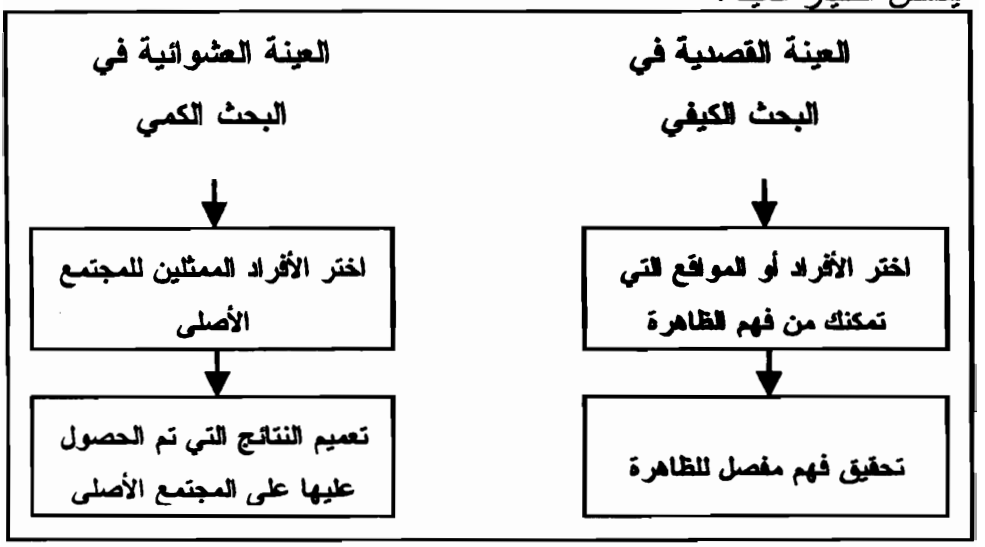

شكل (2–1) الاختيار القصدي والعشوائي في البحث التربوي

الاختيار القصدي (العمدي) للعينة Purposeful Sampling

نعني بالقصدية هنا أن الباحث يختار عينة بحثه على نحو متعمد بحيث تعينه على فهم الظاهرة موضع البحث، على أن يكون معيار اختياره لها ثراء المعلومات التي تقدمها له.

وقـد يقرر الباحث في البحث الكيفي دراسة موقع واحد؛ مثل فناء المدرسـة، أو الحرم الجامعي، أو عدة مواقع؛ مثل قاعات الفنون الحرة. ويخـتار فرد أو مجموعة أفراد (طلاب الفرقة الأولى بكلية التربية)، وقد يجمـع بين المواقع والأفراد في عينة واحدة؛ مثل: عدد من الطلاب داخل قاعتيـن للفنون. ولاختيار العينة في البحث الكيفي تسع إستراتيجيات على الباحـث أن ينتقـي الإسـتراتيجية المناسبة مستنداً في ذلك على مبررات مقنعة؛ ونعرض فيما يلي هذه الإستراتيجيات (Miles&Huberman,1994; Patton,1990):

1) **العينة التعددية القصوى Maximal variation Sampling**

مـن خواص البحث الكيفي تقديم الظاهرة من أكثر من منظور، ومن زوايـا مخـتلفة؛ لذا فإن هذه الإستراتيجية تجعل الباحث يشكل عينته من طـلاب أو مبحوثين مختلفين في السمات؛ مثل: الاختلاف في العمر، أو مسـتوى الطلاقـة اللغويـة، أو نـوع التعليم (مدارس خاصة- مدارس حكومية- مدارس صديقة للفتاة).

2) **عينة الحالات الـمتضادة/ المتناقضةExtreme Case Sampling**

أحـياناً يهـتم الباحث بدراسة حالة ما ذات خصائص سيئة للغاية، أو جـيدة فقد تكون مزعجة مقلقة فاشلة، أو على الجانب الآخر محط انتباه الجميع، ولنجاح الدراسة في هذه الحالة يلجأ الباحث لهذه الإستراتيجية في اختيار العينة.

3) **العينة النمطية Typical Sampling**

يسـأل الباحـث هنا ما هو الشكل الطبيعي، أو النمطي للأفراد أو المواقـع؛ لذا تعد دراسة شخص أو موقع ما الشكل النمطي الذي يتضح بجانـبه ما هو غير مألوف، أو ما يشذ عن هذا الشكل. مثال ذلك دراسة

أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية ما، والذي عمل بالكلية لمدة عشرين عاماً، وأصبح بمثابة النموذج، أو الشكل النمطي لعضو هيئة التدريس بالكلية.

4) عينة المفهوم أو النظرية Theory or Concept Sampling

قد يستهدف الباحث من وراء بحثه توضيح مفهوم معين، أو توليد نظرية ما؛ وعليه هنا قبل الشروع في البحث استيعاب المفهوم أو النظرية التي من المتوقع أن تنبثق من الدراسة؛ فمثلاً عند دراسة خمس مواقع للتعليم عن بعد يختار الباحث تلك المواقع؛ لأنه يعلم أن دراسته لهم قد تساعده في توليد نظرية عن اتجاهات الطلاب إزاء التعلم عن بعد.

5) العينة المتجانسة Homogeneous Sample

هنا يختار الباحث مجموعة أفراد، أو مواقع؛ لأنها تشترك في سمات أو خصائص معينة. لذا يحدد تلك السمات بداية، ثم يختار المواقع، أو الأفراد الذين يشتركون فيها. مثال ذلك مجالس الآباء في المدرسة الريفية التي يختار الباحث من بينها عدداً من أولياء الأمور.

6) العينة الحرجة Critical Sampling

يقوم فيها الباحث بدراسة حالة استثنائية يستطيع من خلالها فهم ظاهرة معينة؛ مثل دراسة مشكلة البطالة؛ هنا يدرس الباحث الظاهرة عبر إحدى الحالات للكشف عن حالة الإحباط والانحراف الأخلاقي لمثل هذه الفئة.

7) العينة العرضية Opportunistic Sampling

في بعض الأحيان، وبعد الشروع في عملية جمع البيانات يحتاج الباحث جمع بيانات جديدة ليجيب من خلالها عن أسئلة البحث؛ لذا فإن

هـذا الـنوع من العينات يتم اختبارها بعد البدء في جمع البيانات؛ بسبب مسـتجدات الموقف. ومثال ذلك أنه في إحدى الدراسات أراد الباحث فهم ظاهرة عنف الطلاب مع بعضهم بعضا داخل المدرسة الثانوية. وفي أثناء إجراء الدراسة وجد الباحث أن هناك طالباً يتسم بالعدوانية إزاء فئة معينة من زملائه دون الفئات الأخرى، وهي الفئة المتميزة تحصيلياً. لذا قرر أن يدرس حالته لأن ذلك من الممكن أن يثري البحث، ويزيد من احتمالية فهم الظاهرة بعمق. ووجد طالباً آخراً يتسم بالعدوانية لانفصال والديه، وزواج كل منهما.

8) العيـنة المؤكدة أو النافية Confirming & Disconfirming Sampling

يستهدف الباحث من هذه العينة تأكيد أو نفي نتائج مبدئية؛ لذا فإنه يختار عينة الدراسة؛ وذلك لتتبع حالات معينة وصولاً لنتائج أبعد فقد يتبع الباحـث حالـة طفل من فئة الأوتيزم **Autism** ورصد سلوكياته وصولاً لتصـميم أنشطة صفية يمكن أن تنتشله من حالة الانعزال والانطواء التي يعاني منها.

ويصف شكل (2-2) إستراتيجيات اختيار العينة وأسباب اختيار كل منها:

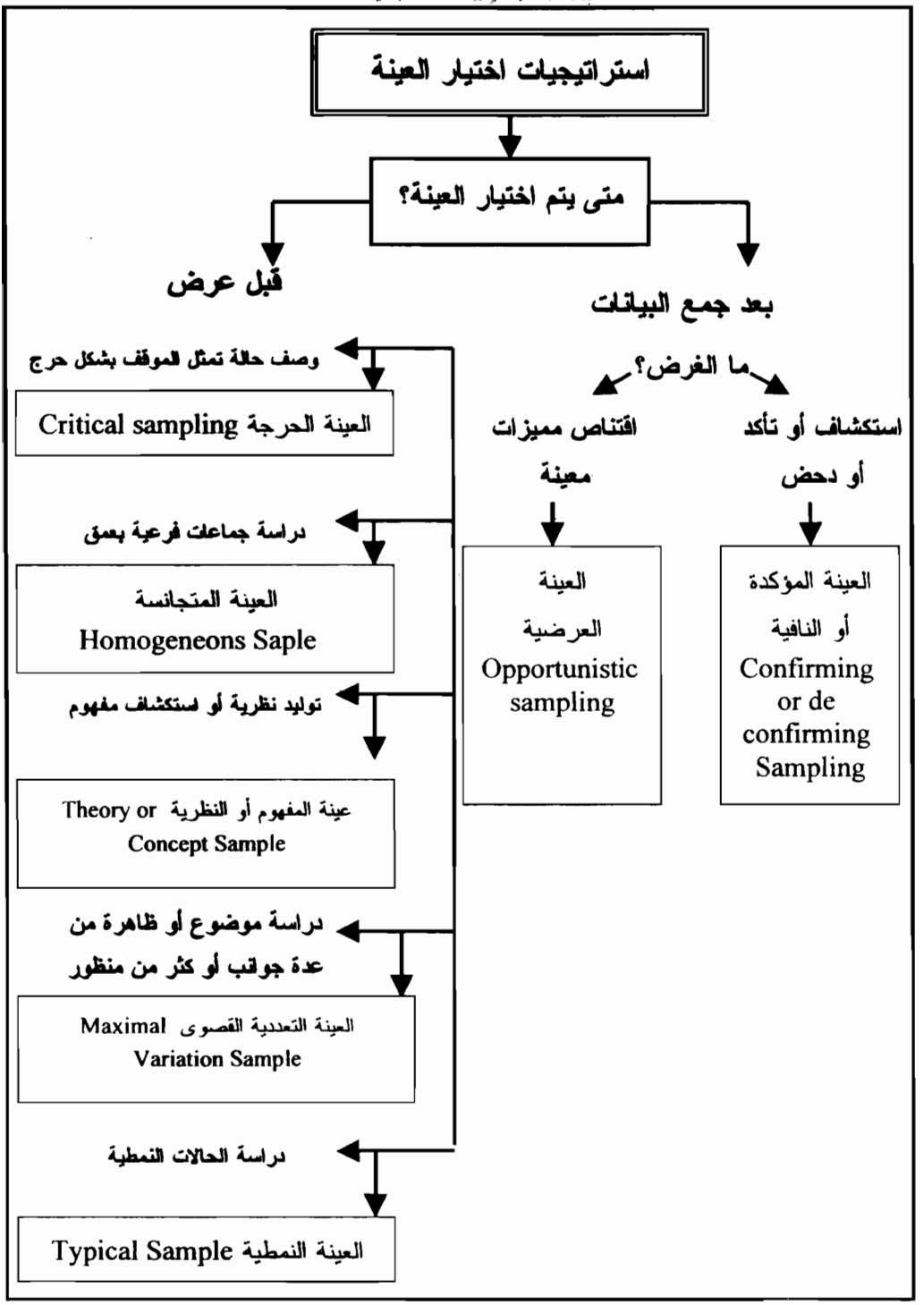

شكل(2-2) استراتيجيات اختيار العينة في البحث الكيفي

عدد أفراد العينة وعدد المواقع

يختلف عدد أفراد العينة والمواقع من دراسة كيفية لأخرى؛ لكن هناك خطوط عامة في هذا الشأن؛ تتمثل في:

- عادة ما يكون عدد الحالات في البحث الكيفي صغيراً؛ لأن قدرة الباحث على تقديم صورة عميقة عن المبحوثين تقل كلما زاد عدد أفراد العينة، كما أن من بين أهداف البحث الكيفي فهم تعقد الظاهرة التي تُدرس عبر المواقع أو الأفراد. وقد يدرس الباحث حالة واحدة، أو موقع واحد، وفي حالات أخرى تتعدد من 20، 30 ونؤكد ثانية أن تزايد عدد المبحوثين يؤدي إلى تسطيح الدراسة؛ فضلاً عن أن تجميع البيانات الكيفية وتحليلها يستغرق وقتاً، ويتطلب جهداً يزيد بزيادة عدد المبحوثين.
- أمثلة: يمكن أن يدرس الباحث حالة معلم مادة العلوم بالمرحلة الإعدادية الذي حصل على جائزة دولية. أو تدور دراسته حول معتقدات معلمي مادة العلوم حول المادة، وتدريسها، وكيف أثرت تلك المعتقدات على ممارساتهم التدريسية؟ وقد يجري الباحث دراسة على 20 أباً يعاني أبناؤهم من نشاط زائد.
- ماذا لو أراد الباحث دراسة ظاهرة العدوانية بالمدرسة الثانوية، فأية إستراتيجيات اختيار العينة سينتقي؟
  - قد يختار الباحث عينة التعددية القصوى، فينتقى ثلاثة أنماط من الطلاب؛ طالب تعدى بالضرب، وآخر تعدى بالسب على زميله، وثالث بالوشاية، والتآمر.
  - وقد يختار العينة الحرجة فينتقي طالباً قام بضرب زميله داخل المدرسة فأحدث به عاهة.

وهنا يجدر بالباحث أن يفكر دائماً في المزيد من استراتيجيات اختيار العينة.

كيف يحصل الباحث على تصريح لإجراء البحث على الأفراد أو المواقع؟

نظـراً لأن البحـث الكيفي يستغرق فترة زمنية طويلة يتم خلالها رصـد آراء الأفراد؛ فإن الباحث يحتاج تصريح إجراء البحث معهم. لذا علـيه تقديـم طلب بهذا الشأن يرفق به وصف تفصيلي لإجراءات البحث خاصـة إذا كانـت الجهـة التـي سيجري بها البحث لا علم لها بالبحث التربوي. فقد يجري الباحث دراسته في منزل أحد الأفراد، أو محل عمله.

ويمكن تلخيص النقاط الواجب مراعاتها عند الحصول على موافقة بإجراء البحث فيما يلي:

1) يقـدم وصـفاً مفصلاً للإجراءات البحثية حتى تكون واضحة أمام المشاركين أو المسئولين.
2) يحـدد طـريقة استتار المبحوثين أي استخدام أسماء مستعارة، أو عـبارات وصـفية لإمكانية التعرف عليهم فيما بعد. يتم ذلك مع الأفراد أو المواقع.
3) علـى الباحث أن يبدي احترامه وتقديره للموقع الذي يجري عليه، أو به البحث، وعدم تسبب البحث في إزعاج أو خلل قدر الإمكان. والتأكيد على أن البحث لن يؤدي بالمبحوثين لمساءلة. وبذلك يحقق البحـث الموازنـة بيـن دراسة المشكلة البحثية بعمق، وفي نفس الوقت عدم تعريض المبحوثين للضرر.
4) يوضـح كيف يمكن أن تعود الدراسة بالنفع على الأفراد. ويبدى اسـتعداداً للقيام تطوعاً بتقديم بعض الخدمات لتلك المؤسسة؛ مثل تقويـم سلوك بعض الطلاب العدوانيين، أو حل مشكلة الطفل ذي النشاط الزائد، أن تدافع الدراسة عن فئة الفتيات اللواتي حرمن من التعليم...

5) يؤكد لأفراد العينة بأنه سيدافع عن أفكارهم، ويتبنى معتقداتهم، ولن يواجههم باللوم.
6) يؤكد أن البحث لن يؤثر على علاقة الباحث والمبحوثين فقد يجري المدير بحثاً على مرءوسيه أو العكس.
7) يحدد الفترة التي سيقضيها في الموقع: (الأيام، ووقت كل زيارة).
8) يرفق بالطلب قائمة بالأسئلة التي سوف تطرح في المقابلة.

معين الباحث Gate Keeper

يحتاج الباحث في البحث الكيفي الحصول على موافقة لإجراء البحث؛ ولأن الباحث في هذا النوع من البحوث يعقد مقابلات على مكان واسع، ويجري ملاحظات ليحصل على معلومات تفيد في فهم الظاهرة؛ لذلك فهو يحتاج من يعينه في مهمته. ومعين الباحث عبارة عن شخص ذي منصب رسمي أو غير رسمي بالموقع، يساعد الباحث بالأماكن التي يمكن إخضاعها للبحث. وقد يكون ذلك الشخص معلماً، أو مديراً، أو قائداً جماعة، أو مشرفاً على برنامج معين. وحتى يظفر الباحث بثقة هذا الشخص ودعمه؛ فإنه يجب أن يطلعه على ما يلي:

- أسباب اختيار هذا المكان لإجراء الدراسة به.
- إجراءات البحث والزمن المستغرق، والمواد اللازمة لإجراء البحث.
- المشكلات المتوقع حدوثها.
- كيفية استخدام النتائج.
- الفئة المستفيدة من البحث **(Bodgan & Bicklen,1998)**.

طرق جمع البيانات الكيفية

من الأسئلة التي يجب أن يسألها الباحث ما المعلومات التي يستطيع بها الإجابة عن أسئلة بحثه؟ وكيف سيتم الحصول عليها؟ ونقدم فيما يلي ملخصاً لطرق جمع البيانات الكيفية ثم سنفصل تلك الأساليب لاحقاً،

- الملاحظات.
- المقابلات والاستبانات.
- الوثائق.
- التسجيلات الصوتية البصرية.

(1) الملاحظات Observations

من الطرق الرئيسية في جمع البيانات الكيفية إجراء ملاحظات، وقد تختلف أدوار الباحث من بحث لآخر على هذا النحو:

- الباحث باعتباره مشارك.
- الباحث باعتباره ملاحظ.
- الباحث باعتباره مشارك لفترة، ثم ملاحظ لفترة أطول.
- الباحث باعتباره ملاحظ لفترة ثم مشارك لفترة أطول.

وكثيراً ما يبدأ الباحث الملاحظة عن بعد، ثم يشارك ويندمج مع المبحوثين، ويقوم بالملاحظة أثناء انغماسه واندماجه معهم.

(2) المقابلات والاستبانات Interviews & Questionnaires

فيما يلي بعض التعليمات:

- أجر مقابلة غير مهيكلة وغير رسمية بأسئلة مفتوحة النهاية ودون ملاحظاتك.
- أجر مقابلة أيضاً غير رسمية بأسئلة مفتوحة النهاية، وسجل استجابات المشاركين صوتياً، ثم أعد كتابتها.

- أجر مقابلة شبه مهيكلة **semi-structured** وسجل المقابلة.
- أجر مقابلات مركزة على الجماعة، وسجلها صوتياً، ثم أعد كتابتها.
- اجمع استجابات المشاركين على الأسئلة مفتوحة النهاية.

(3) الوثائق Documents

- اجعل الطلاب يحتفظون بسجلات **journals**، ويوميات طوال الدراسة.
- احتفظ أنت أيضاً بمثل هذا السجل، واكتب فيه.
- حلل الوثائق العامة كالمذكرات، واللقاءات، والملفات، والسجلات.
- حلل الوثائق المدرسية كسجلات الحضور والغياب، ونسب الاستبقاء، والتسرب، وغيرها.
- افحص السير الذاتية والحياتية.
- اجمع بيانات عبر البريد الإلكتروني.

(4) المواد السمعية البصرية Audio Visual Materials

- افحص الأدلة الفيزيقية وتعقبها.
- سجل بالفيديو مواقف اجتماعية لأفراد أو جماعات.
- افحص الصور وأشرطة الفيديو.
- اجمع الأصوات(موسيقى- ضحكات الأطفال- آلات-...)
- افحص المقتنيات **rituals**.
- صور الأفراد صوراً فوتوغرافية أو بالفيديو.

ويوضح جدول(2-1) أساليب جمع البيانات ونوع البيانات التي يمكن جمعها من خلال كل أسلوب.

جدول(2-1) جمع البيانات الكيفية

أسلوب جمع البيانات	نوع البيانات	تعريف بنوع البيانات
الملاحظة	ملاحظات ميدانية ورسوم	**بيانات نصية، غير مهيكلة وصور ترسم أثناء ملاحظة الباحث.**
الوثائق	ملاحظات تكتب بخط اليد عن الوثائق رسمية أو غير رسمية	**- عامة (اجتماعات مثلاً)** **- خاصة (سجلات، يوميات)**
مواد سمعية بصرية	- صور فوتوغرافية - صور مرسومة - أشرطة فيديو - أصوات - مقتنيات	**- مواد سمعية: (أصوات بمختلف أشكالها) أو صور عن أفراد أو أماكن سجلها الباحث أو قام بذلك غيره.**

ونفصل تلك الأنواع فيما يأتي:

أولاً: الملاحظات

نجد على رأس طرق جمع البيانات الكيفية الملاحظات، والتي يمكن تعريفها بأنها عملية جمع معلومات من منبعها أو مصدرها الأول. يحصل عليها الباحث بملاحظة الأفراد في موقع بحثي ما. وللملاحظات مميزاتها وعيوبها. ومن بين مميزاتها أنها فرصة لتسجيل المعلومات، كما تحدث في وقتها، وسياقها، كما إنها فرصة لدراسة السلوك الحقيقي ودراسة من لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم، أو لا يقدرون على الكتابة كالأطفال في سن ما قبل المدرسة. أما عن عيوبها فتمثل في إنها تقيد الباحث وتجعله

يقصر ملاحظاته على مجرد موقف أو موقع حصل بتصريح على إجراء ملاحظة له. هذا فضلاً عن أن الملاحظ يتطلب منه مهارات عدة كالإنصاف، والانتباه للتفاصيل البصرية، والتيقظ لاحتمالية أن يخدع الملحوظ من يلاحظه، ويزيف استجاباته خاصة إذا كان الملاحظ غريباً على الأفراد موضع الملاحظة "وافداً عليهم" (Hammersley& Atkinson,1995).

أدوار الملاحظ

على الرغم من الصعوبات التي تواجه الباحث عند لجوئه للملاحظة لجمع البيانات؛ فإنها تبقى شكلاً مقبولاً في البحث الكيفي. ويلعب الباحث أكثر من دور إبان الملاحظة. وتتعدد الأدوار بحيث يناسب كل دور مواقف معينة دون غيرها؛ وذلك في ضوء التجاوب بين الملاحظ والملاحظين، وما يمكن أن يفيد في جمع البيانات لفهم الظاهرة البحثية، وهناك ثلاثة أدوار للملاحظ تتمثل فيما يلي (Spradlay.1998):

1) **دور الملاحظ المشارك The Role of Participant Observer**

يتحتم في بعض المواقف انغماس الملاحظ في الموقف؛ حتى يتسنى له فهم الظاهرة. وتوفر هذه المشاركة فرصاً كثيرة لرؤية الخبرات من وجهة نظر المشاركين. وهنا يلعب الباحث دوراً مزدوجاً؛ فهو مشارك في الأنشطة داخل السياق، وفي نفس الوقت يسجل معلوماته. وينطوي هذا الدور المركب على صعوبة الجمع بين المشاركة، وتسجيل الملاحظات؛ لذا يلجأ بعض الباحثين لتدوين ملاحظاتهم بعد مغادرة الموقع البحثي مباشرة. وبرغم أن المبحوثين سيتصرفون بشكل طبيعي غير مصطنع هنا؛ فالباحث لابد من أن يحصل على موافقته لإجراء الملاحظة مما يفسد هذه الميزة.

2) دور الملاحظ غير المشارك The Role of a non Participant Observer

قد لا يكون الباحث في مواقف أخرى متآلف مع الأفراد أو المكان موضع البحث بما لا يسمح له بالاشتراك والاندماج معهم في الأنشطة؛ لذا فإنه يكتفي بدور الملاحظ، وكل ما عليه هو تدوين الملاحظات عن الظاهرة. وهنا لا تعطى الملاحظة نفس النتائج التي يحصل عليها الباحث حينما يشترك مع الأفراد.

3) الأدوار المتغيرة

هنا يعمل الباحث على التأقلم مع الدور والموقف؛ فعلى سبيل المثال عندما يدخل الملاحظ الموقع للمرة الأولى؛ فإنه لا يشارك لكنه بعد كسر حاجز عدم الألفة بينه وبين الأفراد يستطيع المشاركة. وفي أحيان أخرى يحدث العكس. وفي كلتا الحالتين فإن تغير الأدوار يتيح للباحث أن يلاحظ الموقف بموضوعية أكبر (مع تدخل ذاتيته).

ونضرب مثالاً لذلك عندما أراد باحث استخدام الكمبيوتر المحمول في التعليم؛ فقام بثلاث زيارات في البداية، كان يجلس فيهم في مؤخرة الفصل للملاحظة، وبعدها أراد أن يفهم العملية المتضمنة في تدريس المقرر؛ فتفاعل مع الطلاب، وبدأ الطلاب استخدام الكمبيوتر المحمول، واشترك معهم الباحث مع المعلم.

عملية الملاحظة

استعرضنا أدوار الملاحظ المختلفة، والآن نعرض لخطوات عملية الملاحظة ذاتها، والتي يمكن تلخيصها في الخطوات الآتية:

1. اختيار الموقع الذي سيتم الملاحظة به، والذين سيعين في فهم الظاهرة موضع البحث.
2. الحصول على تصريح بإجراء الدراسة.

3. استطلاع الموقع، وتكوين فكرة عامة عنه مع تدوين ملاحظات بسيطة عنه في البداية؛ تمهيداً لاستيعاب كمية المعلومات المنبثقة عن الملاحظة.
4. تحديد الملاحظ؟ والشيء الذي يلاحظه؟ ومتى؟ وكيف؟ وهل سيعينك شخص في اتخاذ تلك القرارات.
5. تحديد- بشكل مبدئي دورك كملاحظ "مشارك أو غير مشارك" خلال الملاحظات القليلة الأولى على أن يكون اختيار الدور معتمداً على الفائدة البحثية، وتكون مستندة على مبررات.
6. إجراء الملاحظات على أن تكون الملاحظات الأولى واسعة، عامة، وبعدما تتكون الألفة بين الباحث، وبين المبحوث تستطيع تركيز ملاحظاتك وتقصرها على جوانب معين؛ مثل تفاعل الطلاب داخل المجموعات الصغيرة أثناء القراءة.
7. تصميم طريقة لتسجيل الملاحظات.
8. وضع في الحسبان المعلومات التي تنوي تسجيلها خلال الملاحظة فهل ستجمع معلومات عن المبحوثين وأوصافهم، المكان، الأحداث، الأنشطة، وردود أفعال المبحوثين، هل ستلاحظ أفعال المعلم أم الطلاب، أم تفاعلات الطلاب مع بعضهم بعضا، أم مع المعلم **(Bogdan & Biklin,1998)**.
9. تدوين الملاحظات بشكل وصفي تأملي، ونعني بالملاحظات الوصفية **Descriptive observations**، وصف الأحداث، والأنشطة، والأفراد "ما حدث" ، أما الملاحظات التأملية **Reflective observations** فهي ما يعنيه ما حدث.
10. تعريف نفسك بالآخرين إذا كنت لا تعمل في الموقع الذي تجري فيه بحثك، وكن صدوقاً يحترمك الجميع.

11. الإنسحب من الموقع بعد انتهاء الملاحظة ببطء، ثم شكر المشاركين، وتبليغهم أنك سوف تطلعهم على نتائج الدراسة حين تكتمل.

ثانياً: المقابلات

يلجأ الباحث في البحث الكيفي للمقابلات حينما يريد توجيه أسئلة عامة مفتوحة النهاية تساعده على فهم الظاهرة. ويلاحظ أن الأسئلة مفتوحة النهاية تسمح بتعددية الاستجابات، وتعبير المبحوثين عن خبراتهم، وآرائهم. فمثلاً أجريت مقابلة حول النشاط الرياضي في المدرسة سُئل المبحوث: كيف يمكن الموازنة بين المشاركة في النشاط الرياضي بالمدرسة والدراسة؟ هذا السؤال يجعل أمام المبحوث فرصة الإجابة دون أن يكون هناك احتمالات سابقة لها كما في البحث الكمي.

وللمقابلات مميزاتها، وعيوبها؛ ومن بين مميزاتها أنها توفر معلومات ثرية قد لا يستطيع الباحث الحصول عليها عبر الملاحظة المباشرة، كما أنها تجعل الباحث قادراً على الحصول على معلومات شخصية مفصلة. وعند المقارنة بين الملاحظة والمقابلة؛ فيستطيع الباحث السيطرة على المعلومات الواردة إليه من المبحوث خلال المقابلة؛ فهو في المقابلة يوجه سؤالاً وقد ينزع السؤال من الأسئلة، وقد يطلب توضيحاً. أما عن عيوبها فإنها توفر معلومات، وآراء فقط قد تكون في حد ذاتها خادعة، تعطي للباحث ما يود أن يسمعه فقط. فضلاً عن أن وجود الباحث قد يؤثر على استجابات المبحوثين. وهناك احتمال أن تكون استجابات المبحوثين غير واضحة أو مفهومة. وإذا استخدمت أجهزة تسجيل في المقابلات فقد تسبب هي الأخرى مشكلة؛ فالباحث عليه هنا أن يجهزها مسبقاً، ويتأكد من صلاحيتها. كما تتطلب المقابلة مهارات عالية؛ مثل: اللباقة، والقدرة على

إذابة الجليد بين الطرفين، وتشجيع المبحوث وتحفيزه على الحديث، والحفاظ على انسيابية الحديث وتدفقه.

أنواع المقابلات

للمقابلات أنواع عديدة؛ نذكرها فيما يلي:

1) **المقابلات الفردية** One –on- one Interview

يعد هذا النوع من أكثر أنواع المقابلات استغراقاً للوقت؛ والتكلفة، ويتم فيها طرح أسئلة على شخص واحد؛ مثل مدير المدرسة، أو الأخصائي النفسي، أو أحد الطلاب التوحديين، يتحدث فيها المبحوث بحرية أكثر دون التأثر بآراء أفراد المجموعة.

2) **المقابلات الجماعية** Focus Group Interviews

يستخدم هذا النوع من المقابلات لجمع الآراء المشتركة لمجموعة أفراد (4-6)، يسأل الباحث عدداً من الأسئلة العامة، ويطلب من كل مشارك الإجابة عنها. ويفيد ذلك عندما يتشابه المبحوثون في سمة ما، كما يفيد عندما يكون وقت جمع المعلومات محدوداً، أو أن الأفراد مترددين في التعبير عن آرائهم. وتشجع هذه الأسئلة المبحوثين على الحديث كل في دوره، لكن من عيوب المقابلة الجماعية أن الباحث قد يفقد السيطرة على المناقشة، وقد يلاقى صعوبة في تفريغ محتوى الشريط المسجل، أو إعادة كتابة محتوى المقابلة عندما تختلط الأصوات، ويكثر الحديث.

فعلى سبيل المثال أجرى باحث دراسة عن التدخين في المدرسة الثانوية؛ فأجرى عدداً من المقابلات: مقابلة مع طالب مدخن، ومقابلة مع أربعة طلاب آخرين استمرت نصف ساعة، تم تسجيل المقابلة صوتياً، فضلاً عن كتابة ملاحظات أثناء المقابلة. ولضمان التعرف على الأصوات طلب من كل طالب ذكر اسمه قبل بدء المقابلة؛ ولصغر عدد المشاركين تم التعرف عليهم فيما بعد بسهولة، وتفريغ محتوى المقابلة.

3) **المقابلة التليفونية Telephone Interview**

قــد لا يتيسر للباحث جمع الأفراد المراد إجراء المقابلة معهم، أو أن يزورهم فرداً فرداً كلاً على حدا، وقد لا يستطيع المشاركون الحضور لمكان المقابلة لبعد المكان، أو لأسباب أخرى. ويمكن في هذه الحالة إجراء مقابلات تليفونية معهم. يسأل فيها الباحث عدداً صغيراً من الأسئلة العامة، ويسجل ردود المشاركين صوتياً. ومن عيوب هذا النوع من المقابلة غياب الاحتكاك المباشر بين طرفي المقابلة؛ مما يحد من التواصل الذي يفيد في حد ذاته في فهم الباحث للظاهرة موضع البحث، فضلاً عن هذا فإن التكلفة المادية تعد عيباً آخراً.

4) **المقابلة الإلكترونية "عبر البريد الإلكتروني" Electronic Interviews**

يستطيع الباحث في البحث الكيفي جمع بيانات بشكل سريع، ومن أماكن متفرقة، ومن عدد كبير من الأفراد عبر البريد الإلكتروني؛ فبمجرد معــرفة الــبريد الإلكتروني للأفراد يستطيع الحصول على قاعدة بيانات نصية ثرية يخضعها بعد ذلك للتحليل، كما يستطيع استيضاح بعض الأمور من خلال حوارات المتابعة **follow-up conversation**.

لكــن تكمــن مشكلات البريد الإلكتروني في المقابلة؛ في حصول الباحــث على موافقة من المشاركين، وضمان سرية المقابلة، ثم إن بعض الأفــراد قــد لا يــتوفر لديهــم بريد إلكتروني؛ مثل فئة الأطفال قبل سن العاشرة، وبرغم هذه المشكلة فإن استخدام المقابلات الإلكترونية في تزايد مستمر خاصة مع التطور التكنولوجي المتلاحق.

ومثال على ذلك قيام باحث بجمع البريد الإلكتروني لأعضاء هيئة الــتدريس في ثلاث كليات على مستوى الجمهورية ممن يدرسون مناهج البحث، وبدأ في إرسال أسئلة مفتوحة النهاية؛ مثل:

- هل سبق لك تدريس هذا المنهج؟
- ما رأيك في تعامل الطلاب مع المنهج؟
- كيف نقيم تدريسك له؟

وبعد أن كتب كل مشارك عن خبراته في هذا الشأن أرسل رده على البريد الإلكتروني للباحث، وحصل بعدها الباحث على قاعدة بيانات من عدد كبير من الأفراد.

5) الاستبانات مفتوحة النهاية Open-ended questions questionnaires

تختلف أنواع الأسئلة في الاستبانات ما بين مفتوحة النهاية ومغلقة النهاية، وتتميز الأسئلة مغلقة النهاية بأن الاستجابات تقدم تفسيرات سابقة التحديد تفيد في دعم نظريات، أو مفاهيم واردة في الأدبيات. أما الأسئلة مفتوحة النهاية فتفيد في استكشاف أسباب الاستجابات مغلقة النهاية، وتتيح للأفراد التعبير عن آرائهم خارج حدود أسئلة مقيدة. والعيب الوحيد في تلك الطريقة هو أن الباحث سيحصل على استجابات عديدة (بعضها قصير وبعضها طويل) تحتاج لوقت وجهد في التحليل.

وفيما يلي مثال لسؤال مغلق يتبعه سؤال مفتوح النهاية:

- أذكر إلى أي مدى تتفق أو لا تتفق مع هذه العبارة؟

– يجب فرض مزيد من القيود على المعلم الذي يمارس العقاب البدني مع طلابه:

- هل توافق بشدة؟
- هل توافق؟
- هل أنت محايد؟
- هل تعترض؟
- هل تعترض بشدة؟

- اشرح إجابتك بمزيد من التفصيل.

يلاحظ في هذا المثال أن الباحث بدأ بسؤال مغلق النهاية، ووضع له خمس استجابات متوقعة سلفاً، يختار المبحوث أحدهما، ويتبع السؤال بسؤال آخر مفتوح النهاية يذكر فيه المبحوث أسباب هذه الاستجابة، ويلقي بالضوء عليها.

إجراء المقابلة

يوجد عدد من الخطوات التي تتبع عند إجراء مقابلة أو استبيان بأسئلة مفتوحة النهاية؛ تتمثل في:

1) **تحديد الأفراد الذين ستجري معهم المقابلة:** يتم اختيار إحدى إستراتيجيات اختيار العينة القصدية التي سبق الإشارة لها.
2) **تحديد نوع المقابلة المستخدمة:** على الباحث اختيار نوع المقابلة التي يستطيع من خلالها التعرف على آراء المشاركين، ويجيب به عن أسئلته البحثية، ويحدد هل سيستخدم المقابلة التليفونية، أو الجماعية، أو الفردية، أو الإلكترونية، أو الاستبيان، أو خليط من هذه الأشكال.
3) **تسجيل الأسئلة والاستجابات:** ويفضل التسجيل الصوتي؛ حتى يتوافر عنصر الدقة عند إعادة كتابة المقابلة، فقد تستخدم الميكرفونات التي تعلق بالملابس، أو استخدام جهاز يلتقط الأصوات من كل الاتجاهات "في المقابلات الجماعية" واستخدام جهاز تسجيل المكالمات التليفونية؛ فضلاً عن تعلم كيفية إرسال واستقبال الرسائل عبر البريد الإلكتروني.
4) **كتابة ملاحظات مختصرة أثناء المقابلة:** قد يحتاج الباحث تدوين ملاحظات آنية فيما يسمى ببرتوكولات المقابلة ؛ وهو عبارة عن

ملاحظات مختصرة لأن الباحث قد لا يستطيع أن يوازن بين طرح السؤال وتلقي الإجابة، وتدوين الملاحظات تفصيلاً.

5) **اختيار مكان هادئ مناسب لإجراء المقابلة:** يراعي أن يكون مكان إجراء المقابلة خالياً من المشتتات، ومجهزاً بجهاز تسجيل صوتي؛ فمثلاً إجراء المقابلة داخل الكلية، ووسط الضوضاء، واحتمال مقاطعة الحديث من آن لآخر لا يعد مكاناً مناسباً لهذا الغرض.

6) **الحصول على موافقة من المشاركين بإجراء المقابلة** مع إخبارهم بغرض الدراسة، و وقت إجراء المقابلة، ومدتها، وإتاحة الفرصة لهم للاطلاع على نتائج الدراسة حينما تكتمل.

7) **تكوين خطة مرنة:** يلتزم الباحث فيها بأسئلة المقابلة؛ مع التمتع بدرجة من المرونة تحافظ على انسيابية الحديث أثناء المقابلة، وليحرص الباحث على إنهاء المقابلة في الوقت المحدد – كلما أمكن ذلك.

8) **استخدم المحفزات أو الأسئلة المشجعة على مزيد من الحديث** probes: للحصول على معلومات إضافية؛ ويقصد بها تلك الأسئلة الفرعية التي تندرج تحت كل سؤال، والتي يستطيع الباحث توجيهها؛ ليحصل على المزيد من المعلومات، وتوسيع الأفكار التي يذكرها المشاركون. وبذلك يكون لتلك الأسئلة هدف التوضيح **clarification**، وهدف الإسهاب أو الاستفاضة **Elaboration**. وشكل (2-3) يوضح ذلك.

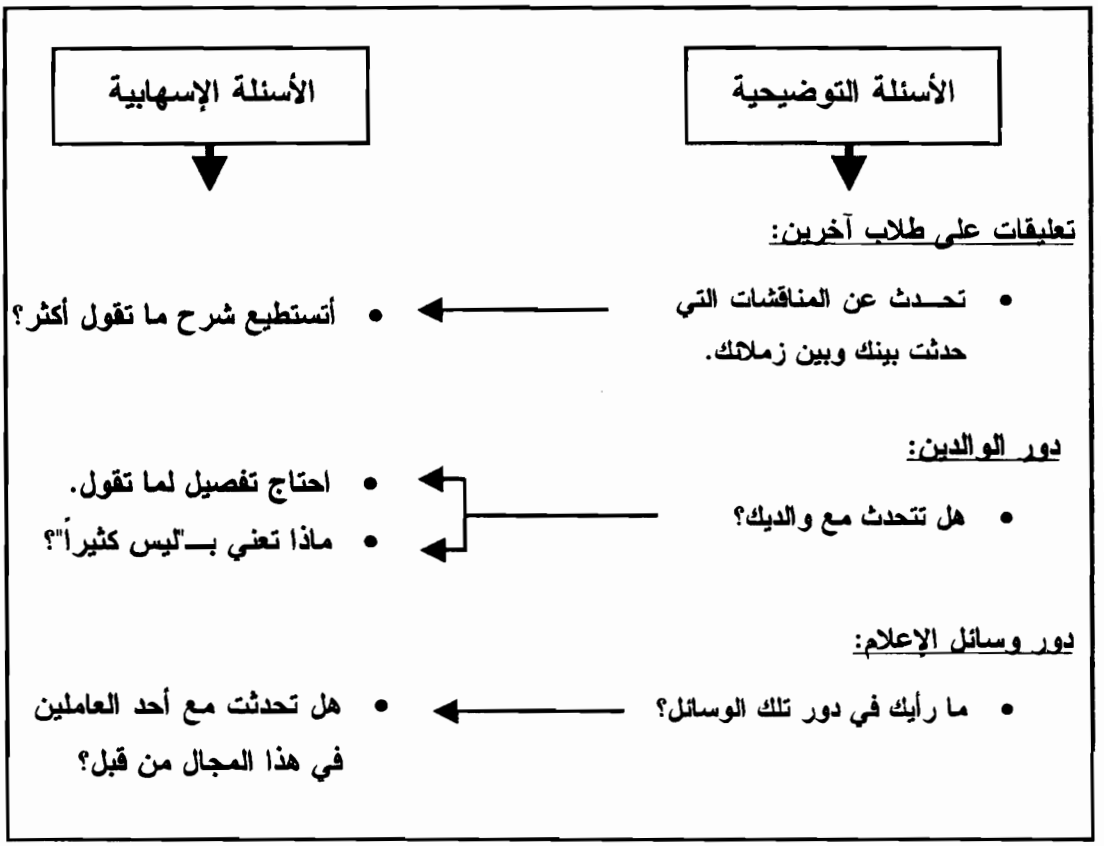

شكل (2-3) الأسئلة التوضيحية والإسهابية

9) **كن مجاملاً ولطيفاً بعد انتهاء المقابلة:** وجه الشكر للمشاركين، وأكد على سرية ما أدلوا به من معلومات، وتعهد بتقديم ملخص لنتائج الدراسة فيما بعد.

وقبل الانتقال لنمط آخر من أنماط جمع البيانات الكيفية؛ نقدم قائمة تحقق لخطوات إجراء المقابلة في شكل (2-4)

- من سيشارك في المقابلة؟
- ما النوع الأمثل للمقابلة في هذه الدراسة؟
- هل يتسم مكان إجراء المقابلة بالهدوء والراحة؟
- إذا كنت تنوي تسجيل الملاحظة؛ فهل أعددت الجهاز اللازم لذلك؟
- هل وصلت على موافقة من المشاركين في المقابلة؟
- هل أنصت أكثر مما تحدثت في المقابلة؟
- هل استخدمت أسئلة فرعية، أو مستحدثات أثناء المقابلة بغرض التوضيح و الإسهاب؟
- هل جعلت المشاركين دائماً في بؤرة الاهتمام؟
- هل أصدرت أحكاماً أو تحاورت مع المبحوثين حول آرائهم؟
- هل كنت لطيفاً ومجاملاً بعد انتهاء المقابلة؟

شكل (2-4) قائمة تحقق لإجراء المقابلة

ثالثاً: الوثائق Documents

تعد الوثائق من المصادر الثرية التي يلجأ إليها الباحث عند جمع البيانات الكيفية. وتضم الوثائق سجلات رسمية، أو شخصية يحصل عليها الباحث من الموقع أو الشخص المشارك في الدراسة؛ ومن أمثلة الوثائق العامة الجرائد، والتقارير، والاجتماعات. ومن الوثائق الشخصية والخطابات، واليوميات، والخواطر التي يكتبها المبحوث لنفسه وعن نفسه

وتفيد هذه الوثائق في التعرف على لغة المبحوث، واستخدامه للكلمات بحيث تخضع تلك الوثائق للتحليل الموازي للمقابلات أو الملاحظات؛ لكن من عيوب استخدام الوثائق بكونها مصدراً للبيانات صعوبة الحصول عليها؛ إما لبعدها، أو عدم إتاحتها للباحث، أو عدم السماح له بالاطلاع عليها. وقد تكون الوثائق غير كاملة، أو غير حقيقية، أو غير دقيقة. وفيما يخص اليوميات مثلاً فقد يصعب أحياناً فهم ما كتب،

أو قـراءاته، وهـناك مثلاً جدول المدرسة الذي يخضع لتغييرات مستمرة وفق المقتضيات.

جمع الوثائق:

علـى الـرغم من تعدد أشكال الوثائق التي يمكن للباحث الرجوع إليها فإن هناك إرشادات عريضة مشتركة علي الباحث اتباعها عند جمع الوثائق مهما اختلفت أشكالها وهي :

- الـتعرف علـي أنـواع الوثائق التي يمكن أن تمدك بالمعلومات اللازمة وتجيب بها عن أسئلة البحث.
- الوضـع فـي الاعتبار أن الوثائق الرسمية كالجداول المدرسية والسجلات والشخصية كاليوميات والمذكرات والخطابات يمثلان مصدراً للمعلومات في البحث الكيفي.
- حاول الحصول على موافقة صاحب الوثيقة أو المسئول عنها بعد تحديد أنواع الوثائق التي تحتاجها في البحث.
- إذا طلبـت مـن المشاركين كتابة يوميات أو سجلات **journals** فعلـيك أولاً تدريـبهم علـى الكـتابة فيه: ماذا سيكتبون؟ وعما سيكتبون؟ وكمية ما سيكتبون.
- بعـد الحصـول علـى موافقة للاستعانة بالوثائق في البحث، تم تحلـيلها، وفحصـها؛ مـن حيث الدقة، والاكتمال، والجدوى في الإجابة عن أسئلة البحث.
- سجل المعلومات الواردة بالوثيقة.وقد تتخذ هذه العملية أشكالاً عدة؛ مـثل: تدويـن الملاحظات، أو إدخالها في جهاز الماسح الضوئي لتوفير قاعدة بيانات كيفية.

رابعاً: المواد السمعية البصرية Audio Visual Materials

تضم المواد السمعية البصرية: (الأصوات ــ والصور ــ وتسجيلات الفيديو ــ والرسوم ــ والأفلام..... الخ). ومن الممكن استخدام الصور ذاتها كمصدر للمعلومات، أو استخدامها كوسيلة للحصول على المعلومات؛ ومثال ذلك أن يعرض الباحث على المشاركين سلسلة من الصور، ويطلب منهم التعليق عليها. قد تكون الصور صورهم هم، أو صور أفراد آخرين، أو صور تاريخية، أو صور مرتبطة بالظاهرة موضع البحث (Ziller,1990).

ومن عيوب هذا النوع من الوثائق صعوبة تحليله؛ لثراء المعلومات به مثل تحليل 50 لوحة رسمها معلم تحت التدريب. فكم عنصر قد غيره في هذه الرسوم، ثم إن الباحث نفسه قد يتدخل عند اختياره للرسوم التي سوف يخضعها للبحث، بل يفرض بهذا الاختيار معنى على الظاهرة، ويفرضه على المشاركين بدلا من الحصول منهم على آرائهم. وعند التسجيل بجهاز الفيديو هناك مشكلات أخرى تتمثل في: ماذا ستسجل؟ أين ستوضع الكاميرا ؟ وماذا عن التعامل مع الأفراد المتسمين بالخجل خاصة من الكاميرات.

جمع المواد السمعية البصرية

على الرغم من المشكلات المحتملة عند اللجوء لهذه المواد؛ فإنها أصبحت أكثر انتشاراً في البحث الكيفي خاصة مع التقدم التكنولوجي المتزايد؛ وفيما يلي خطوات جمع هذه المواد (والتي نلاحظ تشابهها مع خطوات جمع الوثائق):

- حـــدد المواد السمعية البصرية التي تمكنك من الإجابة عن الأسئلة البحثية وكيف سيتم التعامل معها بشكل موازٍ للبيانات المستقاة من الملاحظات والمقابلات.
- اطلب الموافقة على استخدامها "موافقة طلاب الفصل وتوقيع أولياء الأمور" وذلك بعد تحديد المواد المتاحة.
- افحص دقة المادة المرئية وموثوقيتها؛ ومن طرق التحقق من ذلك الاتصال بمصوريها، أو بالأفراد الموجودين بها.
- اجمـــع البـــيانات ثـــم نظمهـــا؛ وتستطيع تخزين تلك المعلومات واســـترجاعها بســـهولة؛ إذا ما أدخلت عبر الماسح الضوئي إلى جهاز الكمبيوتر.

كيفية تسجيل البيانات

تعد مرحلة تسجيل البيانات من أهم مراحل البحث الكيفي، ويسجل الباحث البيانات عبر البروتوكولات البحثية؛ ولكن ما تلك البروتوكولات؟ وكيف تصمم؟

استخدام البروتوكولات Protocols

تـــتخذ عملية تسجيل البيانات – فيما يخص الوثائق والمواد البصرية– شكلاً رسمياً "بإدخال الوثيقة إلى جهاز الكمبيوتر عبر الماسح الضوئي"، أو غـــير رســـمي مـــن خـــلال تدويـــن الملاحظات. أما بالنسبة للمقابلات، والملاحظات فإن الباحث في البحث الكيفي يستخدم بروتوكولات مصممة خصيصاً لهذا الغرض، ويمكن تعريف البرتوكول بأنه أداة لتسجيل البيانات يقـــوم الباحث بتصميمها، واستخدامها في البحث الكيفي بغرض تسجيل ما يغنـــي عـــن المقابلـــة والملاحظة من بيانات ومنها بروتوكولات المقابلة وأخرى للملاحظة.

1) **بـــروتوكول المقابلة Interview Protocol** وهي "أداة تسجيل البيانات أثـــناء المقابلـــة" ومن الضروري أن تتوفر لدى الباحث أثناء المقابلة أداة تهـــيكل تلـــك المقابلـــة، وتدون فيها الملاحظات هذا فضلاً عن التسجيل الصوتي الذي يوفر تفصيلاً دقيقاً لما حدث؛ ويعرض شكل(2-5) نموذجاً لهذا البرتوكول:

- **الموضوع:** *استخدام العقاب البدني في المدرسة الابتدائية*
- **الوقت:** *الواحدة ظهراً*
- **التاريخ:** 2005/7/22م
- **المكان:** *مدرسة..... الابتدائية*
- **الباحث/ من يجري المقابلة:**.....
- **المبحوث/ من تجري معه المقابلة:**.....
- **عمل المبحوث:** *معلم اللغة العربية*

- صف البحث واخبر المبحوثين غرض الدراسة
  - ← مصادر البيانات.
  - ← الأفراد المستخدمين لجمع البيانات.
  - ← سرية المقابلة.
  - ← مدة المقابلة.
- تأكد من أن المشارك قد قرأ طلب الموافقة على إجراء المقابلة، ووقع عليه.
- جرّب جهاز التسجيل الصوتي.

الأسئلة:

- صف موقفاً شهدت فيه إنزال العقاب البدني على أحد الأطفال بالمدرسة.
- هل تتذكر مشكلة نتجت عن هذا النوع من العقاب؟
- ما دور إدارة المدرسة إزاء ما حدث؟
- إذا أردنا كشف أبعاد القضية؛ فمن نقترح أن نتحدث إليه؟

- اشكر المشاركين لتعاونهم وأكد على ضمان سرية ما قالوا.

شكل(2-5) نموذج لبرتوكول مقابلة

وكثيراً ما يحتاج الباحث تدوين ملاحظات أثناء المقابلة، أو أن يذكره أحد بأسئلة المقابلة، وتأتي البروتوكولات، ولذا نصف البرتوكول على أنه استمارة يصممها الباحث، وتحتوي على تعليقات تخص عملية إجراء المقابلة، والأسئلة المطروحة، ومساحة تسمح للباحث بتدوين ملاحظاته حول استجابات المبحوثين.

تصميم بروتوكول المقابلة

كما يتضح من الشكل نرى أن مكونات البرتوكول تتمثل فيما يلي:

- مقدمة عن المعلومات الرئيسية للمقابلة يتحدد فيها غرض الدراسة، وتذكير الباحث بأهمية توقيع المبحوث بالموافقة على إجراء المقابلة معه، وكذلك تذكيره بضرورة تجريب جهاز التسجيل. ويمكن إضافة نقاط أخرى؛ مثل: الخلفية التربوية للمبحوث، ومكانته، أو عمله، وسنوات عمله، وخبرته في هذا الحقل،.....
- توضع بعد ذلك عدة أسئلة "خمس أسئلة" مفتوحة النهاية، مختصرة، تتيح للمشترك أقصى درجات المرونة، والحرية في الإجابة. ولتكن الأسئلة الأولى عامة مشجعة تشعر المبحوث بالطمأنينة، والألفة، وتحفزه على التحدث. وتختم المقابلة بسؤال يطلب من المبحوثين اقتراح أفراد آخرين لأجراء المقابلة معهم لإثراء البحث، ولتفهم الظاهرة بشكل أفضل.
- تأتي- بعد الأسئلة المشجعة- الأسئلة الموجهة مباشرة للأسئلة البحثية، ويراعى أنه كلما زاد عدد الأسئلة؛ استطاع الباحث الحصول على معلومات أكثر؛ لكن دون جعل المقابلة مزدحمة بالأسئلة التي قد تفقد المبحوث تركيزه، ولا تمكن الباحث من انتهاء المقابلة في وقتها المحدد.

- يحتاج الباحث لمحفزات أو أسئلة فرعية **probes** لتشجيع المبحوثين على توضيح آرائهم، والإسهاب، والاستفاضة.
- تترك فترة بين الأسئلة؛ ليكتب فيها الباحث ملاحظاته، على أن تكون تلك الملاحظات مختصرة، أو تتخذ اختصارات ذات مدلول عند الباحث.
- لتكن هناك فواصل بين الأسئلة؛ فلا ينتقل الباحث من سؤال لآخر بشكل حاد؛ كأن يقول: "السؤال التالي هو....".
- يذكرك البرتوكول في النهاية بضرورة شكر المشارك، وتأكيدك له على السرية، وأنك ستطلع المشاركين على نتائج الدراسة بعد إتمامها.

2) برتوكول الملاحظة Observational Protocol

عبارة عن استمارة يصممها الباحث قبل جمع البيانات، ويستخدمها لتدوين ملاحظاته خلال سير عملية الملاحظة، ويسجل الباحث تتابع الأحداث، ويقدم وصفاً مفصلاً عن شخصية المبحوث أو المبحوثين. وقد يرسم صورة أو خريطة للمكان، ويدون أقوال الأفراد. وتضفي هذه الاستمارة نوعاً من النظام في الملاحظة بدلاً من الارتجالية. ونقدم فيما يلي نموذجاً لها:

ملاحظة لأنشطة الطلاب خلال حصة الأشغال الفنية

▪ المكان: *3/1* ▪ الملاحظ:..... ▪ دوره: *ملاحظ فقط.* ▪ الوقت: *2007/9/28م* ▪ مدة الملاحظة : *20 دقيقة* ▪ الوصف.....	**ملاحظات تأملية**

شكل (2-6) نموذج لبروتوكول ملاحظة

نلاحظ أن البرتوكول يتكون من:

- مقدمة تسجل فيها معلومات عن الوقت، والمكان، ودور الملاحظ.
- تقسم الصفحة لقسمين:
  - القسم الأول: يكتب فيه وصف الأنشطة داخل الفصل.
  - القسم الثاني: تكتب ملاحظات الباحث، أو تأملاته لأقوال الطلاب، وأفعالهم، وأعمالهم، وخبراتهم.
- وقد يزيد هذا الشكل ليضم رسماً للمكان؛ لتذكر تفاصيل الأحداث، ووصف للأفراد أنفسهم.

صدق البحوث الكيفية وثباتها

إن الحديث عن الصدق والثبات غالبا ما يرتبط في أذهان الكثيرين بالبحوث الكمية ، غير أن حديثنا هنا يحاول – ولو قليلا – تغيير ذلك الارتباط الذهني ، وبيان أن للبحوث الكيفية صدق و ثبات وإن اختلفت درجتهما عن البحوث الكمية.

الصدق في البحوث الكيفية Validity

إن مصطلح الصدق –هنا– يعني صحة أو موثوقية وصف أو شرح أو تفسير أو غير ذلك من الأساليب التي تستخدم في البحوث الكيفية، وهذا المعنى يتلاءم – إلى حد بعيد– مع الأسلوب المستخدم من قبل الباحثين الكيفيين ، كما أنه لا يثير مشكلات فلسفية مهمة.

ومصطلح الصدق لا يتضمن معناه وجود أية حقائق موضوعية يمكن المقارنة بها ، غير أن الأمر غير ذي بال ؛ لأن فكرة الحقيقة الموضوعية ليست أساسية لنظرية الصدق التي يود معظم الباحثين جعلها أساسا لتمييز المقاييس الصادقة من غيرها.

وهناك فروق مهمة بين التصميمات الكمية والكيفية فيما يتعلق بالأساليب التي تتناول بها مهددات الصدق ، فالباحثون الكميون يحاولون تصميم عوامل ضبط تتناول كل المهددات المتوقعة و غير المتوقعة للصدق(كمال زيتون،2004)، أما الباحثون الكيفيون فنادراً ما يستفيدون من المقارنات الرسمية واستراتيجيات اختيار العينات والمعالجات الإحصائية وغير ذلك من الوسائل التي تضبط تأثير بعض المتغيرات المحددة ، غير أنهم يضبطون معظم مهددات الصدق باستخدام الأدلة المجمعة أثناء إجراءات البحث لجعل الافتراضات البديلة غير واقعية.

أنواع الصدق في البحث الكيفي :

يمكن القول إن الصدق في البحوث الكيفية يرتبط بثلاثة جوانب رئيسة (Maxwell,1992):

1- **الوصف Description**: يعد المهدد الرئيس للوصف الصادق هو عدم الدقة في الوصف أو عدم التكامل للبيانات، ويمكن للتسجيل الصوتي أو المرئي للملاحظات والمقابلات الإسهام في حل هذه المشكلة؛ فلو كان الوصف لما يلاحظ أو للمقابلة التي تُجرى غير صادق، فإن أية تفسيرات أو استنتاجات يتوصل إليها الباحث من هذه الأوصاف تكون محل تساؤل؛ ولذا لابد من تسجيل المقابلات الشخصية ما لم يكن هناك سبب قوي لعدم القيام بذلك.

2- **التفسير Interpretation**: ويعد المهدد الرئيس للتفسير الصادق هو فرض المعنى الخاص بالفرد بدلا من فهم المعاني التي يقصدها الأفراد المشاركون في الدراسة من كلماتهم وأفعالهم.ويمكن التغلب على هذه المشكلة من خلال المحاولة الجادة والنظامية لتعلم كيف ينظر المشاركون في الدراسة لما يحدث.

3- **النظرية Theory:** ولا يتمثل المهدد الأخطر للصدق في هذا الجانب في جذب الانتباه لبيانات مختلفة أو عدم الاهتمام بالشروح البديلة أو عدم فهم الظواهر التي ندرسها وإنما يتمثل في الغموض والافتراضات التي لا تقوم على أدلة ؛ ولذا تمثل القيم الشخصية للباحث أهمية كبيرة في البحوث الكيفية.

وينقسم الصدق في البحوث الكيفية إلى نوعين رئيسين :

أ- الصدق الداخلي: ويشير إلى درجة اتساق التفسيرات الخاصة بظاهرة ما مع الحقائق، كما يشير إلى وجود معانٍ مشتركة للمفهومات بين المشاركين والباحث ،وإذا كان الثبات يعد مهددا خطيرا للبحث الكيفي فإن الصدق يمثل نقطة قوة له ، ويعتمد الصدق الداخلي على أساليب جمع البيانات وتحليلها. وفيما يلي استراتيجيات تحقيق الصدق الداخلي:

1- طول فترة جمع البيانات: حيث تتيح طول فترة جمع البيانات فرصة تحليل الأفكار وتعديلها.

2- لغة المشاركين: يجب أن توحد المصطلحات المستخدمة ويكون لها مدلولات موحدة متفق عليها.

3- بحث المجال: يتم إجراء المقابلات والملاحظات في سياقاتها الطبيعية والتي تعكس واقع المبحوثين بما يوفر درجة أكبر من الواقعية بعيدا عن السياقات المعملية المصطنعة في البحث الكمي ، حتى إن الوثائق ذاتها تعكس مواقف طبيعية وأحداث تمت بالفعل.

4- الذاتية المنظمة المخططة : حيث يخضع الباحث جميع مراحل البحث لتساؤل مستمر وكذلك لتقويم مستمر بحيث يذكر تحيزاته ويدونها قبل الشروع في البحث وقد يحتفظ بسجل لهذا الغرض.

ويلاحظ أنه توجد مهددات في البحث التجريبي لا تعد مهددات في البحث الكيفي مثل:

- النضج: حيث ينظر لمراحل النضج في البحث الكيفي من منظور معايير ثقافية عبر فترات تاريخية ، وهذا البحث – بخلاف البحوث الكمية – يهتم بما يفعله الأفراد في مرحلة عمرية معينة مقارنة بمرحلة أخرى.
- أثر المجرب أو المبحوث: حيث توصف المعلومات بأنها صادقة حتى إذا تأثرت برأي الباحث ، ولكن يمكن أن يشكك في صدق البيانات إذا جمعت من خارج سياقها الفعلي ، ويلاحظ أن الصدق يرتفع إذا ما مكث الباحث فترة طويلة في بيئة المشاركين وأجرى عدة مقابلات معهم وتعددت مصادر بياناته ، كما أن التعرف من حين لآخر على رد فعل المبحوث عبر كل مراحل البحث يعد من سبل الكشف عن تحيزاته وكذلك بالنسبة للباحث أو الملاحظ.
- الانتقاء: يمثل انتقاء المشاركين مشكلة إلا أن الباحث في البحث الكيفي لا يعاني منها مقارنة بالبحث الكمي ؛ لأنه في حالة الظواهر المعقدة واختياره لعينات قصدية يصف كل ما يتصل بهذه العينة سواء المجموعات الرئيسة أو المجموعات الفرعية والأحداث والأماكن والأفراد وشبكة العلاقات الاجتماعية... إلخ
- التفسيرات البديلة: يدحض البحث الكيفي التفسيرات البديلة، وحتى يتسنى ذلك يجب وجود نظام استرجاع فعال للبيانات و كذلك عمل منظم لجمع مصادر البيانات بحيث يتم جمع تلك المصادر التي قد تنطوي تناقض أو تضارب وتحليلها على أن يتم التعرف على الحالات السلبية كذلك في مرحلة جمع البيانات دون تأجيلها حتى

مـــرحلة التحليل وبعد ترك الباحث للمجال أو السياق الذي يجري فيه البحث.

ب- الصدق الخارجي: يرتـــبط التعميم الإحصائي في الدراسات الكمية بالعيـــنات الاحتمالية، أما البحث الكيفي فيلاحظ أن الصدق الخارجي مختلف؛ حيث تتعامل معظم الدراسات الكيفية مع دراسات حالة وهذا يعني أن الباحث لا يسعى إلى تعميم النتائج ، بل هدفه هو تعميق الفهم والوصـــول لفهـــم مفصـــل بحيـــث يتمكـــن الآخـــرون مـــن فهـــم المواقف المشابهة.

ولا يعنـــي مـــا سبق أن البحوث الكيفية لا تقوم أبدا بالتعميم بشـــكل يـــتعدى الموقـــف أو الأفراد المدروسين؛ وذلك أن الدراسات الكيفـــية غالـــبا مـــا تقوم على وضع نظرية يمكن تطبيقها على أفراد آخريـــن ، كما يشير "هاميرسلي وويز" **Hammersley& Weiss** إلى بعـــض الملامح التي تمنح الثقة في التعميم من خلال دراسات الحالة مثل عالمية الظواهر المدروسة والتأييد من الدراسات الأخرى.

مهددات الصدق في البحوث الكيفية:

تتمثل مهددات الصدق في البحوث الكيفية فيما يلي:

1- **تحـــيز الباحـــث: Researcher bias**: يشير هذا المهدد إلى الطرق التـــي تشوه فيها البيانات المجمعة أو المحللة من خلال قيم الباحث ومعـــتقداته ونظـــرياته، وبالرغم من ذلك يصعب التعامل مع هذه المشكلات عن طريق إقصاء نظريات الباحث أو تصوراته القبلية أو قـــيمه كما يصعب إضفاء صفة المعيارية على الباحث لتحقيق

الثقة؛ فالبحث الكيفي لا يهتم بالتغلب على التنوع بين الباحثين في القيم والمعتقدات والتوقعات التي يضيفونها على الدراسة، لكن اهتمامهم ينصب على فهم كيفية تأثير قيم الباحث على البحث ونتائجه.

2- **رد الفعل Reactivity**: يعني هذا المهدد تأثير الباحث على الأفراد المدروسين، وهو المشكلة الثانية التي غالبا ما تظهر في الدراسات الكيفية، فالهدف من البحوث الكيفية ليس إقصاء هذا التأثير بل فهمه واستثماره.

3- **القدرة على المقارنة Comparability**: يعني قدرة الباحث على وصف التصميم البحثي بحيث يمكن استخدام الدراسة لتوسيع تلك النتائج في دراسات لأخرى ، فإذا عجز الباحث عن الوصف الدقيق لتصميمه البحثي فإن ذلك يعتبر مهددا للصدق الخارجي.

4- **القدرة على التحويل Transferability**: يعني قدرة الباحث على استخدام أطر نظرية واستراتيجيات بحثية وصفها باحثون من قبله، فإذا عجز الباحث عن ذلك فإن ذلك يعتبر مهددا للصدق الخارجي.

استراتيجيات التعامل مع مهددات الصدق:

يوجد مجموعة من الإستراتيجيات التي يمكن عن طريقها التعامل مع مهددات الصدق للبحوث الكيفية(كمال زيتون،2004)، وهي لا تهدف إلى إثبات صحة نتائج البحث وإنما اختبار صدق هذه النتائج من خلال الأدلة المتوفرة ، وتتعدد هذه الإستراتيجيات لتشمل **:(Campbell,1988)**

1- **إستراتيجية أسلوب العمل:** وتشبه هذه الإستراتيجية الأسلوب الذي يستخدمه المحقق لحل جريمة ما ، أو مفتش المباحث الذي يحاول تحديد سبب تصادم شاحنة ،وبشكل أساسي فإن هذه الإستراتيجية بدلا من أن تتحكم في متغيرات الصدق ،فإنها تحاول أن تثبت من خلال الأدلة أثر تلك المتغيرات في نتائج البحث.

2-**إستراتيجية البحث عن الأدلة المغايرة والحالات السلبية**

Searching for discrepant evidence and negative cases

وتعد هذه الإستراتيجية من الإستراتيجيات المهمة التي تحاول التحقق من صدق النتيجة المقترحة، فهناك حالات يكون فيها الشاهد غير مقنع كما يكون تفسير البيانات محل شك، والمبدأ الأساسي هنا هو أن الباحث بحاجة للاختبار الصارم للبيانات المختلفة لتحديد ما إذا كانت النتائج يمكن تصديقها أم لا.

3- **إستراتيجية التوليف Triangulation**: ونعني بهذه الإستراتيجية تجميع المعلومات من عدد متنوع من الأفراد والمواقف باستخدام طرق مختلفة ، وتعمل هذه الإستراتيجية على تقليص المخاطر الناتجة عن الارتباط بالتحيزات الراجعة لطريقة محددة ؛ فعلى سبيل المثال قد تكون المقابلات أو الاستفتاءات أو الوثائق عرضة للانحياز الذاتي ولكن استخدام إستراتيجية التوليف يمكن أن تساعد على التغلب على ذلك.

4- **إستراتيجية التغذية المرتجعة : Feedback** : حيث يعد طلب التغذية المرتجعة من الأفراد إستراتيجية مهمة لتحديد مهددات الصدق ، وتمشيا مع إستراتيجية التوليف يجب الحصول على تلك التغذية من أفراد متنوعين من المهتمين بالظاهرة ومن غيرهم، وسوف يعطي ذلك أنواعاً مختلفة من التعليقات لكل منها قيمته.

5- **فحوصات الأفراد : Member checks**: وتعد نوعا من أنواع التغذية المرتجعة والتي تتعلق ببيانات الأفراد ، وتعد من أهم أساليب تحديد إمكانية التفسير الخطأ لمعنى ما يقولون والمنطلق الذي ينطلقون من خلاله.

6- **البيانات الثرية : Rich data**: ونعني بالبيانات الثرية البيانات المفصلة والكاملة بما يكفي لتوفير صورة كاملة لما يحدث؛ ففي دراسات المقابلة الشخصية يتطلب الأمر توصيفا لما حدث وليس مجرد ملاحظات بسيطة لما لاحظ الباحث و استشعر أهميته ، كما أنه بالنسبة للملاحظة نجد أن البيانات الغنية تعد نتاج تدوين الملاحظات بشكل وصفي ومفصل عن أحداث محددة يلاحظها الباحث.

7- **الإحصاءات Quasi-statistics**: تحتوي عديد من نتائج البحث الكيفي على مكونات كمية ضمنية ، وأي ادعاء بأن ظاهرة ما مثالية أو نادرة هو ادعاء كمي ويستلزم بعض الدعم ، ولا تسمح صفة الإحصاءات بدعم الادعاءات المعتبرة كمية فقط ، بل تمكن البحث كذلك من تقييم مقدار الأدلة الموجودة مثل كم عدد الشواهد المختلفة الموجودة وكم عدد المصادر المختلفة التي تم اشتقاقها منها.

8- **المقارنة Comparison**: فبالرغم من أن المقارنة تكون مرتبطة بالبحوث الكمية كما في المجموعات الضابطة ، فإن هناك استخدامات مهمة للمقارنة في البحوث الكيفية حيث إنه غالبا ما تستخدم في دراسات الحالة مقارنات ضمنية تسهم في تفسير الحالة.

الثبات في البحوث الكيفية Reliability

يقصد بالثبات في البحوث الكيفية مدى قدرة الباحث على اكتشاف أو تقصي الظاهرة مع اتفاق كل من الباحث والمشاركين على وصفها ؛ أو بعبارة أخرى يمكن القول إنه يشير إلى الاتساق بين الأسلوب التفاعلي للباحث والذي يشمل جمع البيانات وتسجيلها وتحليلها وتأويلها أو إضفاء معانٍ عليها ، فضلا عن اتساقه مع المشاركين في ذلك.

مهددات الثبات في البحوث الكيفية:

على الرغم من أنه يوجد أمام الباحث عديد من السبل لزيادة الثبات، غير أنه توجد أمامه في الوقت ذاته عدد من المهددات والتي نستعرضها فيما يلي:

1- **دور الباحث:** حيث إنه من الضروري تحديد دور الباحث أو مكانته التي يشغلها من المبحوثين أثناء الدراسة ، ومن المفضل لزيادة الثبات أن يكون الباحث غير معروف للمبحوثين ؛ وذلك لأن مألوفية المشاركين للباحث ومعرفتهم به تحد من الثبات المرجو تحقيقه.

2- **اختيار المشاركين:** تعد عملية اختيار المشاركين من مهددات الثبات في البحث الكيفي ، ويمكن التغلب على ذلك بالوصف الدقيق لهؤلاء المشاركين وعملية اختيارهم.

3- **السياق الاجتماعي:** يؤثر السياق الاجتماعي في محتوى البيانات ؛ لذا لابد من وصف ذلك السياق فيزيقيا ووظيفيا واجتماعيا ، ويتمثل ذلك الوصف للسياق أو الموقف في وصف الأفراد والمكان والزمان والأحداث التي تمت فيها المقابلة أو الملاحظة وجمعت في ضوئها البيانات، ويفيد هذا التحديد في أنه يساعد الباحثين على إيجاد سياقات مشابهة للحصول على نتائج مشابهة.

4- **إستراتيجيات جمع البيانات:** لكي يستفيد الكثير من الباحثين عند إجرائهم بحوث مستقبلية من بحث ما يفضل تحديد إستراتيجيات جمع البيانات بدقة (ما طرق جمع البيانات؟ وكيف تنوعت؟ وكيف تم تسجيل البيانات؟ وتحت أي ظروف؟ وكم إستراتيجية وظفت لهذا الغرض؟ وهل كانت هناك مصادر رئيسة ومصادر معينة للبيانات؟ وهل كانت الملاحظة – مثلا – هي محط الاهتمام الأول بينما كانت المقابلات والوثائق مصدرا ثانوياً في جمع البيانات ؟).

5- **افتراضات التحليل:** حتى يتحقق الثبات يجب وضع إطار واضح يوضح كيفية وصول الدراسة للنتائج وكيف اتفقت تلك النتائج أو اختلفت مع ما سبقها من البحوث ؛ فمثلا عندما تجري دراسة حول سبل ضبط الصف في مرحلة الروضة فإن الباحث ينطلق من افتراضات مؤسسة على نظرية تسمى نظرية العرض الذاتي **Self presentation theory** التي تركز على أهمية الذات عند عرض فكر نظري يتأسس على ا لرؤية ا لذاتية للباحث وتحليله للبيانات.

إستراتيجيات التعامل مع مهددات الثبات:

إذا كان البحث الكمي يحقق الثبات عبر وجود عديد من الملاحظين أو أكثر من مصحح ، فإن الأمر يختلف في حالة البحث الكيفي؛ فالباحث الكيفي يسعى إلى تحقيق ثبات الملاحظين ؛ بمعنى أنه يسعى للوصول إلى اتفاق حول وصف الأحداث ومعانيها فيما بين الباحث والمشتركين ، وفي أغلب الأحيان يستخدم الباحث خليطا من سبع استراتيجيات لتقليل مهددات الثبات تتمثل فيما يلي:

1- **التقارير الحرفية Verbatim accounts**: وتعني تسجيل البيانات والمحادثات وتدوين الملاحظات بشكل جزئي وكذلك الاستعانة بالوثائق للبرهنة على المعاني التي أعطاها البحث لتلك البيانات ، وذلك دون زيادة أو نقص ؛ أي بدون تدخل من الباحث.

2- **الوصف منخفض الاستدلال Low inference descriptors** حيث يعد الوصف الدقيق للملاحظات الميدانية وشرح المقابلات من مؤشرات جودة البحث الكيفي ، والوصف منخفض الاستدلال يحقق ذلك ؛ حيث إنه يعطي وصفا مرئيا دقيقا لا يدعو الباحث إلى الاستنتاج مما يؤدي إلى توحيد وجهات النظر.

3- **تعدد الملاحظين :Multiple observers**: وتعد هذه الطريقة من طرق تقليل مهددات الثبات حتى أنه شاع تعاون أكثر من باحث في بحث كيفي واحد ؛ لضمان تحقيق أقصى درجات الثبات.

4- **البيانات المسجلة آليا Mechanically recorded data** : حيث يمكن زيادة ثبات البحث الكيفي بالاستعانة بأجهزة التسجيل الصوتي والصور وتسجيلات الفيديو ، على أن يحصل الباحث على نفس البيانات إذا اتبع نفس النهج واستخدم نفس زوايا الكاميرا للتسجيل وركز على سلوكيات معينة.

3- **الباحث المشارك Participant observer**: حيث يلجأ كثير من الباحثين لباحث آخر للمساعدة في عملية تدوين الملاحظات أو التسجيل بما يوفر درجة من الثبات.

4- **مراجعة المشارك Participant review**: حيث يجري الباحث مقابلات مع المشارك ويجري عددا من الملاحظات ثم يعيد إجراء تلك المقابلات ثانية مع نفس الشخص بغرض التحقق من البيانات

التي جمعت والمعاني المستقاة منها لتحاشي سوء الفهم أو اختلاف التأويل للمعاني.

5- الحالات السلبية أو البيانات المتضاربة

Negative cases / Discrepant data

ونعني بالحالة السالبة وجود موقف اجتماعي أو وجهة نظر للمشاركين متناقضة أو بيانات تتناقض مع باقي البيانات وتشذ عن الخط الفكري لها.

,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,